المعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل

أ. يحياوي حفيظة
جامعة البويرة

يقول المستشرق الألماني أوجست فيشر: "وإذا استثنينا الصين لا يوجد شعب آخر يحقّ له الفخار بوفرة كتب علوم لغته وبشعوره المبكّر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها حسب أصول وقواعد غير العرب". لذلك كان على العرب أن يؤلّفوا كتبا تحفظ تلك المفردات وترتّبها حسب مناهج محدّدة، وتراعي تطوّرها ودلالاتها على مرّ العصور، فجمعت اللغة العربية ودوّنت وصنّفت المعاجم بمختلف أنواعها. فابتكرت مدارس وكلّ مدرسة تعتمد منهجا معيّنا تعتمده في ترتيب ألفاظها، فكان منها: معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني وأخرى متخصّصة، وبرع في كلّ مدرسة عدد من اللغويين، واستمرّ التأليف في المعاجم عند العرب إلى غاية اليوم، فتميّز كلّ عصر عن الذي قبله بخصائص محدّدة أفضت إلى تنوّع كبير في المعاجم العربية. وإذا أمعنّا النظر في هذا الكمّ الهائل من المصنّفات المعجمية، وجدنا أنّها شملت معظم الاختصاصات اللغوية والعلمية، إلاّ أنّ اللغة العربية تبقى تفتقر إلى نوع مهمّ من أنواع المعاجم، الذي سبقت إليه اللغات المتقدّمة كالفرنسية والإنجليزية والألمانية والإسبانية والروسية، وهو المعجم التاريخي الذي رغم أهمّيته ما يزال مفقودا عند الأمة العربية، التي كانت في يوم ما من الأمم السبّاقة إلى التأليف في ميدان المعاجم بصفة عامة. وقد كان المستشرق الألماني فيشر أوّل من فكّر في مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، وبدأ بالفعل أوّل خطوات تنفيذ المعجم، إلاّ أنّ الحرب العالمية الثانية منعته وحالت دون المضيّ في المشروع.

فماذا نقصد بالمعجم التاريخي؟ وما هي الأسباب التي دعت إلى وجوده؟ هل انحصرت التجربة العربية في معجم فيشر التاريخي الذي لم يسعفه الحظ في

إكماله؟ أم هناك جهود للّغويين العرب في هذا المجال؟ ماذا عن المؤسّسات والمجامع اللغوية العربية التي ما تزال متردّدة إزاء هذا المشروع، هل ستتّخذ قرارا أخيرا في ضرورة إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية؟

أصبح تأليف المعجم العربي التاريخي ضرورة حضارية لا غنى عنها، خاصّة في ظلّ التطوّر الكبير الذي تعرفه اللغة العربية، إلاّ أنّها ما تزال تعاني حتى الآن من قصور معجمي واضح المعالم مقارنة باللغات العالمية الحيّة، حيث يظهر هذا القصور في غياب معجم تاريخي للغة العربية، سيمكّن إنجازه من سدّ فراغ كبير في تاريخ اللغة العربية، وسيمكّن الأمّة العربية وأجيالها المتعاقبة من فهم لغتها وتراثها الفكري والعلمي والحضاري، وربط حاضرها بماضيها، إسهاما في إخراجها من التردي والتبعية، كما سيسهم هذا الإنجاز في الارتقاء باللغة العربية إلى مصاف اللغات العالمية، التي تملك معاجم تاريخية متجدّدة.

1- تعريف المعجم التاريخي: هو "معجم متخصّص بشكل أوسع في تاريخ ألفاظ اللغة العربية ومعانيها منذ ولادتها، ومتتبّع لدلالاتها في كلّ عصر، استمرارها واختفاؤها، ولا ينبغي أن يفهم من تاريخ الكلمة أنّه مجرّد بحث في الأصل والميلاد، إذ المقصود بتاريخ الكلمة التطوّر والتجديد، وفي كلّ مرّة يتجدّد معنى مفردة من المفردات، فإنّ ذلك يعني ميلاد جديد لها، حيث تسعى وتعمل على التشبّث بالبقاء وتوليد المعاني الجديدة، وقد تندثر زمنا وتعود لتحيا، شأنها شأن النوع البشري، منها ما يصمد ومنها ما يلحقه الضعف والهوان ولو مع استمراره في الحياة."[1]

ويعرّف أيضا بأنّه "صنف من المعاجم يرمي إلى تزويد القارئ بتاريخ الألفاظ ومعانيها، من خلال تتبّع تطورها منذ أقدم ظهور مسجّل لها حتّى يومنا هذا."[2]

وهو أيضا: "سجّل الأمّة، يرصد دلالات الألفاظ من حيث العموم والخصوص والرّقي والانحطاط ويتتبّع تطوّراتها، ويسجّل مختلف استعمالاتها من حيث الزمان والمكان، وطبيعة الموضوع وبحسب الشيوع والندرة."[3]

يقول **رشاد الحمزاوي** في تعريف المعجم التاريخي: "هو ذاكرتنا اللغوية والثقافية والحضارية المنظمة التي تضبط رصيدنا الفكري، وتكون مرجعنا العلمي الأمين الذي نعود إليه، وثيقة موضوعية ومدوّنة من النصوص الثابتة التي تقوم حجّة تاريخية لا جدال فيها."[4]

يقدّم **وارتبورغ Wartburg** تعريفا دقيقا وشاملا لماهية ومضامين المعجم اللغوي التاريخي بقوله: "إنّ الإيتمولوجية بمعناها الحديث تتجّه نحو تعقّب المفردات ومجموع المفردات في تشعّباتها المتعدّدة، وفي ضوء علاقاتها بمفردات أخرى في كلّ مرحلة، وكما عاشتها في متن اللغة، حيث تكتشف الإيتمولوجية عبر المفردة آثار آلاف السنوات من تطوّر البشرية، وتجلي تاريخ المحاولات المتكرّرة للفكر الإنساني، الذي ينتظم دون توقّف بمساعدة اللسان، الهوة التي تحيط به بطريقة مطابقة له، وتنقل هذا العالم اللساني المنتظم إلى الجيل القادم ليتمكّن من الحفاظ عليه، ويحوّله بدوره بطريقة منتظمة وتامة، وأن تتعرّف التراث المعجمي في علاقاته مع ما يشكّله من تطوّر الإنسانية، وأن تضبطه كتعبير أكثر آنية، وأكثر شمولية، فإنّ ذلك ما يشكّل نبلا أكبر وتواضعا أعم، وهنا يكمن معنى البحث الإيتمولوجي في يومنا هذا."[5] فالمعجم التاريخي على هذا الأساس، هو المعجم العام والشامل لجميع مفردات اللغة، منذ أوّل ظهور لها إلى غاية اليوم.

2ــ أهميته: إنّ المعجم التاريخي للغة العربية ليس بالأمر السهل، فهو مشروع أمّة وحلم آلاف المختصين في اللغة العربية، وهو أيضا أمل وهدف منشود للطلبة والباحثين، حيث إنّ تطوير اللغة يعني مواكبتها للتّطور، وهذا مستحيل إذا تمّ الاستغناء عنها كلغة في البحث العلمي والتدريس، فالمشكلة لا تكمن في هذه اللغة العريقة، بل فيمن يستخدمون اللغة والنهضة العربية تكون باللغة العربية، لأنّه لا يمكن لأيّة أمّة أن تتقدّم وترتقي بلغات غيرها، وأحسن مثال يمكن أن نقتدي به هو تجربة الصين والكوريتين وغيرها من الدول الآسيوية.

وصف **عزمي بشارة** مشروع المعجم التاريخي بأنّه مشروع نهضوي، إذ أنّه يدفع مئات المختصين من مختلف الأقطار إلى البحث في الألفاظ العربية واستخداماتها وتاريخ دلالاتها.... مؤكّدا أنّ فهم ثقافتنا وحضارتنا مشروط بفهم اللغة في مرحلتها التاريخية، كما أنّ المعجم التاريخي يفتح الطريق أمام الاشتقاقات الدلالية المطلوبة لمواكبة تطوّر العلوم[6].

يشكّل "المعجم اللغوي التاريخي مصدرا حيّا لمجمل النصوص القديمة والحديثة في آن واحد، إذ لا مجال لإقصاء أيّ مفردة، يتتبّع تاريخ الألفاظ وتطوّرها في سياق أدبياتها وعلومها، إنّه كتاب اللغة الذي يقدّم تفاصيل الاستعمالات دون تمييز ولا استثناء، سواء في شكلها البسيط والعادي أم المعقّد، مستقصيا حقيقتها ومجازها وبلاغتها حسّا أو تجريدا، ويتحوّل بذلك إلى مادة لتاريخ الفكر أدبيا وعلميا في تطوّره وعلاقاته باللغات والآداب الأجنبية من خلال حياة المفردات."[7]

يقول فيشر: "إنّ منتهى الكمال لمعجم عصري أن يكون معجما تاريخيا، ولذلك يجب أن يحوي المعجم التاريخي كل كلمة تدوولت في اللغة، وجميع الكلمات المتداولة في لغة ما، لها حقوق متساوية فيها، وأن تعرض وتستوضح أطوارها التاريخية في معجماتها."[8]

أوضح الدكتور **عزمي بشارة** أنّ المعجم التاريخي يمكّن الأمة من فهم لغتها وبذلك يتمّ تحصيل الفهم الصحيح لتراثها الفكري والعلمي والحضاري، ويوفّر عددا من المعاجم الفرعية التي تفتقر إليها المكتبة العربية؛ كمعجم شامل لألفاظ الحضارة (الصناعات والحرف والعمارة) ومعاجم مصطلحات العلوم، ومعجم شامل للغة العربية المعاصرة والمعاجم اللغوية التعليمية، كما يمكّن الباحثين من إعداد دراسات وأبحاث تتعلّق بتراثنا الفكري والعلمي وفقا لما يتيحه المعجم من معطيات تاريخية جديدة، إضافة إلى استثمار البرامج الحاسوبية الخادمة للمشروع، وذلك لتطوير المعالجة الآلية للغة العربية.[9]

إنّ بناء معجم تاريخي للغة العربية هو بناء ذاكرة الأمّة العربية، ولأنّ اللغة مرآة الفكر فإنّ بناء الذاكرة اللغوية هو في الوقت ذاته بناء الذاكرة الفكرية، وإذا وثّقنا هذه الذاكرة تاريخيا فإنّنا نيسّر بذلك رصد التطوّرات اللغوية والفكرية التي مرّت بها هذه الأمّة على مدى عشرين قرنا ويتيح ذلك الرصد فهم تراثنا الفكري والعلمي بدلالات ألفاظه ومفاهيم مصطلحاته، التي استعملت بها في سياقاتها التاريخية والثقافية، فكم من لفظ استعمل في تراثنا الفكري والعلمي بدلالة لم تعد له الآن، وفي غياب معجم تاريخي للغة العربية لا نستطيع الحدّ من كثير من سوء الفهم وانحراف التأويل وفساد الاستنباط الواقع في قراءة تراثنا الفكري والعلمي.

ومن المعلوم أنّ افتقار اللغة العربية إلى معجم تاريخي يؤرّخ لرصيدها المعجمي عبر العصور يشكّل إحدى الثغرات الأساسية في الثقافة العربية، ذلك أنّ بناء معجم تاريخي – بما يمكّن من رصد الذاكرة اللغوية والثقافية للأمة ويدوّن سجلّها الحضاري– يمثّل خطوة متقدّمة من خطوات الصناعة المعجمية la lexicographie، بفضله تحافظ اللغة على هويتها وانتمائها الحضاري.[10] واللغة العربية في حاجة ماسة إلى هذا النوع من المعاجم؛ نظرا لامتلاكها لرصيد لغوي ضخم كما أنّها لغة ولود معطاء، يمكنها التماشي مع تطوّرات عصرنا الحاضر في ظل التكنولوجيا العلمية الحديثة، حيث يمكنها رصد الألفاظ لجميع المصطلحات الجديدة، التي تظهر في مختلف الميادين، مع أنّ هناك من اتّهمها بالعجز في مجال المصطلح، إلاّ أنّ ما تدرّه من مصطلحات جديدة في كلّ يوم يثبت عكس ذلك. يبقى الدور على علمائها ومؤسّساتها اللغوية المنتشرة عبر بلدان الوطن العربي والمغاربي في توحيد الجهود؛ من أجل العمل على تأليف معجم تاريخي ومعاجم أخرى في مجالات متعدّدة. فالمعجمية التونسية مثلا كان من بين مهامها تأليف المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية، إلاّ أنّ هذا العمل يبقى مجرّد مشروع ينتظر التجسيد. وللأهمية الكبيرة التي يكتسيها المعجم التاريخي

ولكون اللغة العربية من بين اللغات العالمية التي تمتلك رصيدا لغويا ضخما تحتاج إلى معجم يرصد دلالات ألفاظها، ويتتبّع تطوّراتها وتجدّدها عبر العصور.

3ــ دواعي تأليفه: لقد حرمت اللغة العربية إلى غاية اليوم من معجم تاريخي يحفظ من خلاله تراث الأمّة على غرار باقي اللغات العالمية الأخرى، ويعود ذلك إلى "عامل رئيسي يكمن في تأخّر ظهور الدراسات اللسانية في الوطن العربي علاوة على تشتّت جهود العرب في هذا المجال والحاجة الماسة إلى تضافر جهود متخصّصين في المعجم والصناعة المعجمية واللسانيات المقارنة في ظلّ مؤسّسة تتكبّ على هذا العمل وحده، دون سواه من المشاريع العلمية.[11]

ولكن هذا لا يعني عزوف اللغويين العرب عن تأليف مثل هذه المعاجم المهمّة بالنسبة للغة العربية، إذ يجب أن يكون لها معجم تاريخي يحفظ تطوّر دلالات ألفاظها منذ بداية استخدامها وتداولها بين ألسنة البشر إلى غاية عصر التدوين وبالتالي عصرنا الحاضر؛ لأنّ اللغة العربية شهدت وما تزال تطوّرا كبيرا وسريعا، إذ نجد ألفاظا تغيّر معناها تماما رغم أنّها ما تزال مستعملة كانت تحمل معنى معيّنا في العصر الجاهلي مثلا، فتغيّر معناها بعد مجيء الإسلام، وأصبحت تحمل معاني جديدة كالصلاة والزكاة والسيارة والحج .....، كذلك تحتاج اللغة العربية إلى معجم يحفظ هذا التطوّر والتغيّر عبر العصور "فثمّة محاولات عديدة في الوطن العربي توخّت إنجاز هذا المشروع الكبير بدءا بتوطئة فيشر مرورا بطموحات جمعية المعجمية بتونس، إلى حين تشكيل لجنة المعجم التاريخي للغة العربية من قبل اتّحاد المجامع اللغوية العلمية العربية سنة 2004."[12] إلاّ أنّ هذه المحاولات لم تجسّد إلى غاية اليوم، وما يزال المشروع مكدّسا على رفوف مكاتب تلك المؤسّسات اللغوية.

يلخّص **عز الدين البوشيخي** جدوى إنجاز المعجم التاريخي في عدّة أسباب:

ـــــــ تمكين الأمّة من فهم لغتها في تطوّراتها الدلالية على مدى عشرين قرنا وتحصيل الفهم لتراثها الفكري والعلمي والحضاري، بإدراك دلالة كل لفظ حسب

سياقه التاريخي، ووصل حاضرها بماضيها في المستويات اللغوية والفكرية والعلمية؛

ـــــــ توفير عدد من المعاجم الفرعية التي تفتقر إليها المكتبة العربية كالمعجم التاريخي لألفاظ الحضارة (الصناعات والحرف والعمارة) والمعاجم التاريخية لمصطلحات العلوم (المصطلحات الطبية والفيزيائية والفلكية والرياضية والجغرافية والفلسفية والشرعية والنحوية والبلاغية) والمعجم الشامل للغة العربية المعاصرة والمعاجم اللغوية التعليمية؛

ـــــــ تمكين الباحثين من إعداد دراسات وأبحاث متعلّقة بتقييم تراثنا الفكري والعلمي في ضوء ما يتيحه المعجم التاريخي من معطيات جديدة؛

ـــــــ استثمار المدوّنة اللغوية العربية في تطوير عدد من البرامج الحاسوبية الخاصّة بالمعالجة الآلية للغة العربية، كالمحلّل الصرفي والمدقّق النحوي والمحلّل الدلالي والترجمة الآلية وغيرها، إذ أنّ المدوّنة اللغوية الضخمة ستتيح تطوير هذه البرامج تطويرا واضحا.[13] إنّ إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية حتمية ثقافية وحضارية وعلمية تنادي به مجموعة من الدواعي فهو يعتبر أداة وظيفية متعدّدة المقاصد يستحيل الاستغناء عنها، فهو ذاكرتنا اللغوية والثقافية والحضارية المنظّمة، التي تضبط رصيدنا الفكري وتكون مرجعنا العلمي.... ومدوّنة من النصوص الثابتة التي تقوم حجّة تاريخية لا جدال فيها.

ولم يعد تحقيق هذا المشروع يحتمل التأخير مع تطوّر الوسائل والتقنيات المساعدة، ممّا يزوّد المؤسّسات اللغوية بمنهجيات وتقنيات من شأنها أن تيسّر علميا وماديا مبادرتها في إنجاز المعجم التاريخي العربي. فالمعجميات وتطبيقاتها الإعلامية والحاسوبية قد أتت بالعجب العجاب من حيث استقراء النصوص وتصنيفها إدخالا واستخراجا، وإدراجها في مناطيق ونظم لا تحصى ممّا سيساعدها على طيّ المراحل وعلى اعتبار المعجم التاريخي العربي معجزة غير عسيرة الإدراك. فخوض غمار هذا المشروع تفرضه تجربة العرب في مجال العطاء

المعجمي، حيث كانوا سبّاقين في المجال قبل غيرهم من الأمم، وذلك راجع لما كان للعرب من عناية وشغف بلغتهم لأسباب عقائدية وثقافية وحضارية.[14] أمّا في العصر الحاضر فقد أصبح اهتمامهم مركّزا على اللغات الأجنبية، حتّى أنّهم يفضّلون استعمالها في أوّل فرصة تُتَاح لهم، معتقدين أنّ الرقيّ والتطوّر يكونان باستخدام اللغات الأجنبية في جميع مناحي الحياة، متجاهلين حقيقة أنّ المشكل لا يكمن في اللغة العربية في حدّ ذاتها إنّما في مستعمليها، الذين أبهرتهم حضارات وثقافات الدول الغربية، التي وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم بفضل اعتمادها على لغاتها، وإحاطتها بكلّ الرعاية والاهتمام.

كما حصر أيضا **إحسان النص** دواعي تأليف المعجم التاريخي في عدّة أنواع نذكر منها ثلاثة وهي: قومية وعلمية وتربوية تعليمية، وهي:

الدواعي القومية:

ـــــــ اللغة هي عماد القومية عند الشعوب التي تتكلّمها، واللغة العربية –نتيجة لذلك– جزء لا يتجزأ من القومية العربية. ولا شكّ أنّ للمعجم التاريخي دورا أساسيا في التعبير عن تلك القومية؛ لأنّه يوحّد بين الاستعمالات المعجمية العربية في مختلف الأمصار التي استعملت فيها العربية؛

ـــــــ سيؤكّد المعجم التاريخي الروابط اللغوية الجامعة بين مستعملي اللغة العربية مشرقا ومغربا؛

ـــــــ سيعزّز المعجم التاريخي العربي انتماء العرب إلى أمّتهم؛ لأنّه سيؤكّد أصالة الفكر العلمي العربي الذي عبّرت عنه اللغة وانتقل منها إلى اللغات الأخرى.

الدواعي العلمية:

ـــــــ يجب أن تعامل اللغة العربية معاملة اللغات الحيّة الأخرى –كالفرنسية والإنجليزية اللتين وضع لكلّ منهما معجمها التاريخي– وذلك بأن توصف وصفا لسانيا دقيقا بالتأريخ لمفرداتها ولمعانيها مثلما وصف غيرها من اللغات الحيّة؛

ـــــــ وأن يوصل حاضرها بماضيها، فيربط بين مختلف حلقات استعمالها عبر تاريخها الطويل. فهي بين اللغات الحيّة اليوم اللغة الوحيدة التي حافظت على وحدتها فلم تنقسم إلى قديمة وحديثة، ولم يداخل نظام استعمالها العام تغيير ذو بال؛

ـــــــ وأن يسدّ الخلل الذي غلب على المعاجم العربية منذ القديم، إذ لم يعن بإظهار وحدة اللغة بالتأريخ لمفرداتها ولمعانيها عبر العصور؛ لمعرفة ما طرأ في حياة اللغة من التطوّر دون أن تخرج من نظامها العام؛

ـــــــ إنّ التأريخ المعجمي لا يهمّ المعجم فقط، بل يهمّ أصوات العربية وصرفها ونحوها أيضا. فإنّ التأريخ لوحدات المعجم يمكّن من التأريخ للأصوات والأبنية الصرفية، التي نكوّنها بحسب ما يطرأ على المفردات من التطوّر، كما يمكّن من التأريخ للأساليب وأنواع التراكيب النحوية؛

ـــــــ إنّ للمعجم التاريخي قيمة حضارية كبرى –إضافة إلى قيمته اللغوية– لأنّ التأريخ للوحدات المعجمية هو تأريخ للمفاهيم التي تحملها والأفكار التي ترتبط بها في العصور، التي ظهرت فيها –وخاصة المصطلحات– تظهر عادة بعد المفاهيم التي يُعَبّر بها عنها. ولذلك فإنّ ظهور المصطلحات هو دليل على ظهور المفاهيم، التي تنشأ في العلوم وفي الفنون؛

ـــــــ إنّ المعجم التاريخي وسيلة ضرورية لتأليف بقية معاجم اللغة العربية فهو يخلّصها من نقائص منهجية ومعرفية كثيرة، وخاصة في ركن التعريف الذي يعدّ في التأليف المعجمي أهمّ ما يؤسّس عليه المعجم، وهو لم يخرج في مختلف معاجمنا اللغوية عن الشرح اللغوي البسيط، في حين بلغت عناصره المكوّنة لبنيته في المعاجم الفرنسية والإنجليزية –نتيجة وجود معجم تاريخي فيهما– أكثر من عشرة عناصر؛

ـــــــ إنّ المعجم التاريخي يُظهر بوضوح ما بين اللغة العربية وغيرها من اللغات من الصلات.

الدواعي التربوية التعليمية:

ـــــــ سيمكّن المعجم التاريخي اللغة العربية من مراجعة المعاجم المدرسية الموجودة اليوم بتدقيق المعاني وإيجاد الشواهد المؤيّدة للاستعمال؛

ـــــــ سيمكّن أيضا من تدقيق القواعد التي تدرّس في مراحل التعليم العام؛ لأنّ ممّا يؤرّخ له فيه الأدوات بمختلف أنواعها، وهي الأسس في تركيب الجمل، بل وفي العبارات المعجمية أيضا. ولا شكّ أنّ تتبّع ظهور الأدوات ومعانيها عبر التاريخ مفيد جدّا لدراسة التراكيب النحوية والأساليب؛

ـــــــ سيمكّن الطلبة في الجامعات من إنجاز بحوث: رسائل وأطروحات أكثر إحكاما منهجيا وعلميا في مسائل المعجم النظرية والتطبيقية ومسائل الصرف والدلالة.[15]

ولأجل هذه الدواعي جميعها على المؤسّسات اللغوية العربية أن تعمل بجديّة وحزم على إنجاز هذا المعجم، الذي سيفيد وسيستفيد منه عدد كبير من الطلبة والباحثين والمتخصّصين في كثير من المجالات. ورغم ما يكتسي تأليفه من صعوبات، إلاّ أنّ تضافر الجهود سيسهّل من مهمّة كلّ الذين سيعملون على إنجازه، حيث لا يفوت "أهل الاختصاص الإشارة إلى صعوبة تصنيف هذا المعجم في ظل الظروف الراهنة، وإلى الحاجة الماسة إلى الاختصاصيين في اللسانيات الحاسوبية والهندسة اللغوية، والتنبيه إلى ضرورة التوفّر على دعم مادي سخيّ، يمكّن من توفير متفرّغين للانكباب على هذا المشروع الحضاري الكبير"[16]، فتأليف معجم بهذا الحجم يحتاج إلى كثير من المال والجهد والتّفرغ من قبل اختصاصيين في عدّة مجالات، لذلك يصعب توفّر مثل هذه الظروف ليتمكّن العلماء من الخوض في غمار هذا الانجاز، الذي يعدّ بحق من أضخم المعاجم، إلاّ في حال توحيد الجهود والآراء.

4ـ المعجم التاريخي للغة العربية للمستشرق الألماني فيشر: إنّ أوّل محاولة في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية تجربة المستشرق الألماني فيشر، حيث تعدّ تجربة فريدة في ميدان صناعة المعجم العربي، فمنهجه في المعجم قائم على تتبّع

الكلمة من أقدم العصور، برصد تطوّر دلالاتها عبر التاريخ، وممّا يؤسف له أنّ فيشر بدأ بمعجمه، ولكنّه مات في بداية عمله، لكنّ منهجه فيه كان واضحا في مقدّمة الجزء المطبوع منه، إذ يمثّل سلوك المنهج التاريخي الهدف الرئيس في معجمه، حيث تحدّث حول هذا الأمر في عدّة مواضع من مقدّمته، شأن أي صاحب دعوة جديدة يدعو إلى نظريته.

أ ــ لمحة عن المستشرق الألماني فيشر: أوجست فيشر **August Fisher** مستشرق ألماني اعتنى بدراسات اللغة العربية، ونهج منهج أستاذه هاينرش ليبرشت فلايشر مؤسّس مدرسة ليبزج في الاستشراق الألماني، وهو منهج يقوم على الاستناد الوثيق إلى الشواهد اللغوية العربية، وإلى أعمال اللغويين والنحاة العرب والابتعاد عن الافتراض من غير أساس. برع في علوم اللغة تأليفا وتدريسا، وتولّى التعليم في معهد اللغات الشرقية 1896–1900م، وشغل كرسي اللغات الشرقية في جامعة ليبزج 1900–1939م.

عيّن عضوا في مجمع اللغة العربية في مصر بعد إنشائه، واستمر يتردّد على القاهرة في شتاء كلّ عام حتى عام 1939م بعد قيام الحرب العالمية الثانية، حيث لم يستطع الرجوع واستمرّت عضويته في المجمع إلى سنة 1945، وتوفي سنة 1949م. تتلمذ على يديه عدد كبير من الدارسين من أشهرهم: المستشرقون شاده وبرجستراسر وجراف. ومن أهم أعماله العلمية: مشروع معجمه التاريخي للغة العربية، والذي قضى في جمع مادته أربعين سنة (40).[17] يعدّ فيشر من أبرز الألمان وأكثرهم جهدا في مجال المعجم العربي، وتأتي شهرته من معجمه التاريخي وعضويته في عدد من مراكز الدراسات منها: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

ب ــ مفهوم الاستشراق: يعدّ مصطلح الاستشراق من المصطلحات التي لم يتّفق على تعريفها، ومدار الاختلاف حول تحديد مدلول اللفظ، والاختلاف واقع عند الغرب والعرب. هناك من يراه مجالا علميا وعملا معرفيا، وهناك من يراه حركة تبشيرية تغذّي الصراع الفكري لغرض سيطرة استعمارية وهدم الفكر الإسلامي.

وهو أيضا دراسة الحياة الحضارية لأمم الشرق عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصّة.

تجمع التعاريف على أنّ الاستشراق ممارسة تضطلع بمهمّة قراءة الشرق، سعيا وراء معرفته والاطلاع على شؤونه وشؤون أمّته؛ من عادات وثقافات وأديان.[18] كما أنّ الاستشراق لا يقوم فقط على مهمّة قراءة الشرق، وإنّما التأليف في جميع العلوم العربية، وفي كثير من الأحيان يكون للمستشرقين السبق في اكتشاف بعض الأمور، مثل تأليف المعجم التاريخي للغة العربية، الذي كان فيشر أوّل من حاول في هذا المجال. في حين كان باستطاعة اللغويين العرب ولوج هذا النوع من التأليف، إلاّ أنّهم لم يفعلوا وبذلك يكون الفضل لفيشر دائما عندما يكون الحديث حول المعجم التاريخي للغة العربية.

ج ــ وضع خطّة المعجم التاريخي الكبير: كان فيشر عضوا في لجنة المعجم في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ولذا طُلب منه وضع خطّة للمعجم التاريخي الكبير، وقدّم تقريرا خاصّا به يشمل على الخطّة كاملة، قسّمه إلى خمسة مقاصد:

المقصد الأوّل: في أنواع محتويات المعجم: ذكر فيه أنواع المصادر التي تؤخذ منها الألفاظ.

المقصد الثاني: في طريقة جمع محتويات المعجم، ذكر فيه طريقة جمع المواد التي سبق ذكر مصادرها، فيفرد جذاذة لكلّ كلمة وتركيب ومعنى.

المقصد الثالث: في ترتيب المعجم، ذكر فيه ترتيب المعجم على الحرف الأول والثاني وهكذا ثمّ الترتيب الداخلي للمادة.

المقصد الرابع: في قواعد المعجم المذكورة: ذكر فيه عددا من قواعد المعجم وهي: ضبط كلمات المعجم، وإثبات كل الكلمات والتراكيب والمعاني بشواهدها وما يتعلّق بها من التوثيق، وترتيب الشواهد تاريخيا لمعرفة تاريخ الكلمات.

المقصد الخامس: في نقل محتويات المعجم على لسان أوربيّ، أراد به إضافة ترجمة إنجليزية أو فرنسية للكلمات والتراكيب في المعجم.

يعدّ معجم فيشر من أفضل معاجم المستشرقين، التي أثّرت في الدراسات المعجمية العربيـــة وكانت بداية مشروعه في أوائل القرن العشرين، عندما عرض فكرته في ثلاثة مؤتمرات استشراقية في باسل عام 1907م وكوبنهاجن عام 1908م وأثينا عام 1912م، حيث لقي قبولا واستحسانا استعان ببعض الجهود التمهيدية التي قام بها قبله بعض أساتذة العربية، بالقسم العربي بجامعة ليبزج مثل هاينريش ليبرشت فلايشر هاينريش توربيكه، ووكّل إلى بعض تلامذته انتقاء مختارات من دواوين الشعراء، وممّن تعاون معه فريتس كرنكو ويوهانس بيدرسن.

وابتدأ فيشر بالعمل في معجمه مدعوما دعما متقطّعا من بعض الجهات الألمانية، وعندما أصبح فيما بعد عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تيسّر له طرح فكرته على أعضاء المجمع، وبعد مداولات وطرح لآراء عديدة وافق المجمع والحكومة المصرية على تبني هذا العمل وتحمّل تكاليفه.[19] يعدّ أوجست فيشر من أبرز المستشرقين في ميدان صناعة المعجم وأقواهم أثرا فيه وكانت جهوده المعجمية معتمدة على أسس واضحة، وممّا فعله فيشر لكي يكون صنع المعجم ملائما له أن جعل له حدّا زمنيا، يمتدّ من عصر الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، وهو زمن العربية الفصحى في أوجّ كمالها.

د ــ أسس المعجم التاريخي عند فيشر: اعتمد فيشر في تأليف المعجم التاريخي على مجموعة من الأسس هي:

مصادر المادة: ذكر نماذج منها: القرآن الكريم، الحديث الشريف، الشعر: ويشمل الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين والشعر الإسلامي وشعر أشهر المولّدين نحو: المتنبي والمعري وابن الرومي والبحتري وأبو تمام وأبو نواس ..... الأمثال الفصيحة، كتب أيّام العرب والسير والتواريخ وتراجم الرجال والنساء أجود مجاميع الأدب، كتب كل فنون العلم الموثوق بها والمعتمد عليها، كتب البُردي والكتابات المنقوشة والتي على النقود.

وإذا لم ترد كلّ كلمة في المصادر السابقة ووردت في المعاجم العربية المشهورة، فتؤخذ من المعاجم بشرط أن يكون لها شاهد بصحّتها، تكملة المعاجم العربية لدوزي، ويرجع إلى نقود فلايشر عليه.

المجموعات والفهارس الأبجدية التي نشرها مستشرقون، منفردة أو ملحقة بمتون كتب شعر ودواوينه.

طريقة جمع المادة: يفرد لكلّ كلمة وتركيب ومعنى جذاذة خاصّة وتصمّم كما يلي:

على يمينها الكلمة المخصوصة بين هلالين كما هي في المصدر المنقولة منه وعلى يسارها يذكر الفعل الماضي إن كانت الكلمة المخصوصة فعلا والمفرد مرفوعا إن كانت الكلمة اسما، في أعلاها أصل الكلمة، وفيها ذكر الجملة أو البيت الذي وردت فيه وتفسيرها وذكر قائلها والمصدر مع رقم الصفحة والسطر في النثر، ورقم القصيدة أو القطعة أو البيت في النظم، ثمّ نبّه إلى ترتيب الجذاذات بعد الفراغ تريبا ألفبائيا.

الترتيب: يتمثّل ترتيبه فيما يلي:

أ ــ المداخل: ترتّب على الحرف الأوّل فالثاني وهكذا.

ب ــ المشتقات: ترتب بالنظر إلى نوعها، تأتي جميع أبنية الأفعال أوّلا، ثمّ جميع أبنية الأسماء، وسردها فبلغت تسعين بناء، وأشار بعدها إلى أنّه يقاس عليها بقيّة أبنية الأسماء لأنّها كثيرة، وذكر أنّ ترتيبها على ترتيب الأفعال: المجرّد ثمّ المزيد.... ونبّه إلى أنّ مضارع الثلاثي يذكر عند ذكر ماضيه بعلامات خاصّة تميّزه.

ج ــ الشرح: وذكر عدّة قضايا تتعلّق به:

ـــــــ ضبط جميع كلمات المعجم بدقّة، إمّا بذكر مثال مشهور أو بالنّص على حركات حروفها.

ـــــــ الاستشهاد للكلمات والتراكيب والمعاني المختلفة، ويذكر مع الشاهد المصدر الذي أخذ منه، مع ذكر المؤلّف أو الشاعر ورقم الصفحة أو السطر أو القصيدة والبيت.

ويُكتفى مع الكلمات كثيرة الدوران بالمهم من الشواهد الدال على خواصّها وزمن استعمالـــها ودائرته مع ذكر علامة خاصّة تشير إلى كثرة ورودها.

أمّا الكلمات قليلة الوجود فتذكر كلّ المواضع التي وردت فيها.

ـــــــ التفرقة بين شواهد النثر والشعر بوضع نجمة أو علامة أخرى مع الشعر.

ـــــــ ترتيب الشواهد تاريخيا بحسب تواريخ مصادرها لمعرفة حياة الكلمات وتاريخها.

ـــــــ وضع علامة خاصّة بالمعرّب والدخيل مع ذكر أصله بدقّة.

ـــــــ التعريف بالحيوان والنبات بدقّة، لتمييز كلّ واحد منها عن غيره مع ذكر اسمه العلمي.

ـــــــ تفسير الاصطلاحات الحديثة بأسمائها العلمية.[20] طبع من معجم فيشر المقدّمة، ومن أوّل حرف الهمزة إلى أبد، بعنوان **المعجم اللغوي التاريخي**، ذهب أربع وثلاثون صفحة منه في المقدّمة، وجاء المنشور من حرف الهمزة في ثلاث وخمسين صفحة، ذهب عشرون منها في الحديث عن أنواع الهمزة، والباقي منه في كلمات أعجمية وعربية، ولذا فهو نموذج قصير لقلّة الألفاظ الغنية فيه. وهناك نموذج آخر يكشف عن طبيعة المعجم أكثر ممّا كشف لنا النموذج المطبوع، وهذا النموذج لم يطبع على أنّه جزء من المعجم، فقد قدّمه فيشر إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة نموذجا على نظريته في المعجم التاريخي، حينما طُلب منه وضع خطّة له كما أنّه قدّمه ثانية مثالا على معجمه التاريخي الخاص، والاطّلاع على هذا النموذج الذي هو جزء من مادة لغوية واحدة هي (أخذ) يدلّ على الشمول والسعة اللذين كان فيشر يسعى أن يتصّف بهما معجمه، حيث يشمل على الثلث الأوّل من مادة

(أخذ) بمعانيها التي جمعها وصنّفها[21]. ولسوء الحظّ أن الحرب العالمية الثانية حالت دون إكمال فيشر لعمله، الذي كان سيؤدي خدمة كبيرة للغة العربية، التي عجز أهلها عن تقديمها لها.

يقول فيشر في مقدمة معجمه واصفا المعجم الذي يرى أنّ العربية محتاجة إليه والذي كان معجمه تلبية لتلك الحاجة: "ومنتهى الكمال لمعجم عصري أن يكون معجما تاريخيا، ويجب أن يحوي المعجم التاريخي كل كلمة تدوولت في اللغة، فإنّ جميع الكلمات المتداولة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها، وفي أن تُعرض وتستوضح أطوارها التاريخية في معجماتها، ولكن المعجمات العربية بعيدة كلّ البعد عن وجهة النظر هذه، إذ إنّها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة، بل تقتصر على إيضاح الاتجاه النموذجي لها، أعني أنّ مصنّفيها إنّما أرادوا التفرقة الدقيقة بين الفصيح من العربية وغير الفصيح، وذلك بوضع قانون للاستعمال الصحيح للكلمات، ويدلّ هذا الاتجاه –دون شك– على إحساس لغوي دقيق عند اللغويين، ولكنّه عاق القوة الحيوية الدافعة في اللغة عن التقدم والتوسّع".[22] يتضّح من قول فيشر السابق أنّه يرى المعجم المثالي هو المعجم التاريخي، الذي يتتبّع تطوّر دلالات الكلمة عبر العصور، دون أن تكون الفصاحة شرط لها، فهو يرى التفرقة بين الفصيح وغيره إعاقة للغة عن التقدم، إلاّ أنّه كان يدرك أنّ مراعاة فصاحة الكلمة له منافع في الحفاظ على اللغة. فلا ضير إذا من الحفاظ على فصاحة اللغة إلى جانب دعمها بالألفاظ المولّدة، التي هي في حاجة إليها بسبب ما يستجدّ في اللغات الأجنبية من مصطلحات تقنية وتكنولوجية وغيرها.

كان فيشر أوّل من نادى بحاجة العربية إلى معجم تاريخي متكامل، مع بيان أسس هذا المعجم فلم تكن دعوة عابرة، بل دعوة تحمل معها نظرية واضحة المعالم، دعا إليها صاحبها وأوضح أسسها ومبرّرات تلك الحاجة. أمّا عن المؤثّر الرئيس الذي لفت فيشر إلى هذا الاتّجاه فهو الاتّجاه الذي ظهر في أوربا بصنع معاجم تُعنى بالجوانب التاريخية للألفاظ، إلى جانب أنّ فيشر قد تلمذ على يد كبار المستشرقين الألمان

وغيرهم من علماء اللغات السامية والدراسات اللغوية التاريخية المقارنة، ولذا كان لديه تصوّر للمعجم التاريخي للغة العربية، وهو تصوّر قائم على تلك المبادئ والدراسات[23]. وعدم اكتساب اللغة العربية لمعجم تاريخي شجّع فيشر على المضيّ في فكرة إنجازه، ثمّ عضويته في مجمع اللغة العربية بالقاهرة زادت من حظوظه في إيجاد مؤسّسة تدعم هذا المشروع من جميع الجوانب.

5ــ جهود المؤسّسات والمجامع اللغوية العربية لإنجاز المعجم التاريخي:

مات فيشر سنة 1949م ولم يكمل مشروعه العظيم، حيث بدأه ولم يسعفه الحظّ في إتمامه، غير أنّ المؤسّسات والمجامع اللغوية العربية أخذت على عاتقها إعداد أو إنجاز هذا المعجم، ليكون للغة العربية ما يحفظها ويثبت وجودها وتطوّر دلالات ألفاظها عبر العصور، ولهذا الغرض قامت الجمعية المعجمية التونسية بعقد ندوة دولية سنة 1989 حول المعجم التاريخي، وقد انبثقت عن أعمالها مجموعة من التوصيات العامة، التي يمكن اعتبار بعضها بنودا في خطّة عمل لإنجاز المعجم التاريخي العربي، كما تخلّلتها دعوات للإسراع في الشروع التنفيذي لهذا المشروع ومن أهمّ ما جاء فيها:

ـــــ ضرورة وضع منهجية علمية دقيقة ومحكمة لجمع مادّته وترتيبها وتعريفها بالاعتماد على التقنيات الحديثة، لاسيما التقنيات المعلوماتية المتّبعة اليوم؛

ـــــ ضرورة الشروع في إنجازه حسب مراحل تتعهّد بالمتابعة والمراجعة على أن يحدّد لكلّ مرحلة فترة زمنية تقريبية ممكنة.

ومن أهمّ التوصيات التي انتهت إليها الندوة:

ـــــ أن يكون هذا المعجم لغويا تاريخيا عاما، يؤرّخ لكلمات اللغة وللأساليب والتراكيب العربية اعتمادا على النصوص المدوّنة في تطوّرها الزماني وانتشارها المكاني، مع الحرص على تأصيل ما يمكن تأصيله منها؛

ـــــ الشروع في وضع متطلّباته الأساسية وخاصّة:

1ـــــ ضبط مصادره ومراجعه الأساسية وتكوين مكتبته العلمية؛

2ـــــ وضع مشروع رصين لمنهجية الجمع والوضع ترتيبا وتعريفا؛

3ـــــ استكشاف التقنيات العصرية الحديثة المساعدة على طيّ المراحل في استقراء النصوص وتنظيمها، حسب القواعد المعلوماتية المتطوّرة ومتطلّباتها.

ـــــ الاقتداء في المجال بالتجارب الغربية القائمة في البلدان المتقدّمة ذات الخبرة والتجربة، التي نتعاون معها من أجل رقيّ الثقافة العربية وتنزيلها منزلتها العالمية اللائقةّ؛

ـــــ مراسلة الجامعات العربية واتّحاد الجامعات العربية؛ لتبادل قائمات البحوث المختصّة بالمعجم وتشجيع الزملاء المختصّين وحثّهم على توجيه طلبة الدراسات العليا لديهم لتحقيق وبحث ما يتعلّق بالمعاجم والقضايا المعجمية، وتزويد المعجمية بنسخ من تلك البحوث إن أمكن أو نتائجها؛

ـــــ إعلام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بهذا المشروع القومي الحضاري وأهدافه، وبما تمّ إنجازه وبخطواته المستقبلية والتطلّع إلى دعم هذه المنظّمات ومساندتها عند الحاجة.[24]

ومن المحاولات الأولى لوضع المعجم العربي التاريخي، مشروع المعجم العربي التاريخي للشعر العربي الذي تقرّر أن تتولّى إعداده جامعة الكويت وكمبردج، ويبدو أنّ هذا المشروع لم ير النور، وقد قامت المعجمية التونسية بإنجاز جزء من هذا المعجم خاص بالعصر الجاهلي بالتعاون مع كلية الآداب بجامعة تونس. والمحاولة الجادة لوضع المعجم التاريخي للغة العربية تمّت في إطار اتّحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، فقد قدّم مجمع دمشق اقتراحا بوضع هذا المعجم، وقدّم خطّة للعمل فيه، ووافقه مجمعا الأردن والعراق. وفي اجتماع اتّحاد المجامع المنعقد بالقاهرة في المدّة من 24–26 مارس 1998م اتّخذ جملة من التوصيات، منها التوصية الخامسة ونصّها:

ـــــ الموافقة على مشروع إعداد المعجم اللغوي التاريخي، الذي اقترحت إعداده مجامع سورية والأردن والعراق، على أن تتمّ المجامع الدراسة التي اقترحتها لتنفيذ هذا العمل. ولكن في اجتماع مجلس اتّحاد المجامع المنعقد في

القاهرة بتاريخ 16-03-1999م نصّت المادة الثالثة من القرارات على ما يأتي: قرّر المجلس تأجيل النظر مؤقّتا في مشروع إعداد المعجم اللغوي التاريخي، الذي اقترحه الدكتور إحسان النص، ويبدو أنّ المجلس تخوّف من ضخامة المشروع وما يحتاجه من باحثين كفاة وعاملين وأموال ضخمة، فرأى تأجيل النظر في هذا المشروع مؤقّتا.

وفي اجتماع مجلس اتحاد المجامع المنعقد بتاريخ 03 و04 أفريل 2001م، جاء في المادة الثانية من جدول أعمال المجلس ما يلي: يقترح المجمع السوري عرض مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، ومرفق خطة العمل فيه. وفي هذا الاجتماع اتّخذ القرار ذو الرقم 05 ونصّه: وافق مجلس الاتّحاد على وضع معجم تاريخي للغة العربية، على أن يدرس كلّ مجمع خطّة لهذا العمل تعرض في الاجتماع المقبل لاتّحاد المجامع في شهر نوفمبر 2001م، وتبحث الوسائل المؤدية إلى تنفيذ هذا المشروع.

وفي الاجتماعات اللاحقة أُلّفت لجنة لوضع خطة شاملة للمعجم التاريخي تتكوّن من مجموعة من الأعضاء من مختلف الدول العربية، وتقرّر بعد ذلك وضع معجم تاريخي للـــغة العربيـــة تشارك فيه مجامع اللغة العربية والمؤسّسات اللغوية في الوطن العربي.[25] كما استمرّت جهود الجمعية المعجمية التونسية في هذا المجال، فقامت بعقد ندوة في المدة من 06 إلى 08 حزيران 2003م بالاشتراك مع المشروع الوطني للبحث حول قضايا المعجم العربي التاريخي (النظرية والتطبيق) إلاّ أنّ جهودها تبقى عبارة عن أمور تنظيرية لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية بعيدة كلّ البعد عن التطبيق الفعلي لما تخرج به ندواتها من توصيات واقتراحات وفي انتظار تجسيد هذا المشروع الحضاري الكبير، تعمل المعجمية التونسية على التذكير دائما بضرورة إنجازه.

ورغم أنّ الخطط وُضعت والمراسيم صدرت لأجل إنجاز هذا المعجم، سواء من قبل المعجمية التونسية أم اتّحاد المجامع اللغوية العربية، إلاّ أنّنا لم نلمس أيّ تغيّر أو تقدّم بالنسبة للمشروع. لذلك ارتأى المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة وضع المعجم التاريخي للغة العربية الذي طال انتظاره

بالنسبة لجميع المهتمّين بهذا الميدان؛ فعقد سلسلة من الاجتماعات التحضيرية واللقاءات العلمية، التي ضمّت نخبة من اللغويين والمعجميين والحاسوبيين من مختلف الدول العربية، استمرّت قرابة السنتين، أعلن فيها عن إطلاق مشروع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، وذلك بمناسبة انعقاد الجلسة الأولى للمجلس العلمي للمعجم سنة 2013م. وسيستغرق إنجاز المعجم المنشود الذي يؤرّخ لألفاظ اللغة العربية على مدى عشرين قرنا قرابة 15 سنة، وذلك عبر مراحل يجري عرض إنجازاتها كلّ ثلاث سنوات.[26] ثمّ عقد المجلس العلمي اجتماعه الثاني في أواخر سنة 2013م (16 ديسمبر) وعلى جدول أعماله قضيّتان مهمّتان: تتمثّل الأولى في ببليوغرافيا المرحلة الأولى الممتدّة حتى نهاية القرن الثاني للهجرة وتتمثّل القضية الثانية في منهج استيعاب النقوش والبرديات، علاوة عل قضايا أخرى. وقد أكّد **عزمي بشارة** المدير العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أنّ العمل جار بشكل ممتاز وبإيقاع سريع قائلا: أصبحنا اليوم أكثر واقعية، وظهرت فوائد العمل الحرفي جليّة نتيجة للتشاور والتواصل الدائم بين الهيئة التنفيذية للمشروع، وبين أعضاء المجلس العلمي الذي يضمّ نخبة من أهمّ علماء اللغة والمتخصّصين العرب. مشيرا في ختام كلمته إلى ضرورة الالتزام بالمواعيد المحدّدة لمراحل الإنجاز.[27] وبما أنّ كلّ الظروف مهيّأة لإنجاز العمل يبقى الدور على النخبة المختارة لإتمامه وإخراجه في حلّة تليق بلغة متميّزة بشهادة عدد من المستشرقين الذين خاضوا مختلف علومها ومجالاتها.

يقول **محمد حسن عبد العزيز**: "إنّ المعجم التاريخي للغة العربية سيكون مؤسّسة علمية، ينهض بتأليفها مئات العلماء والأدباء واللغويين، وجامعة يلتحق بها مئات من الباحثين والمحرّرين والمساعدين. المعجم التاريخي سيحدث ثورة في الدراسات التاريخية واللغوية، وسيكشف للباحثين عن كنوز كانت مدفونة، وعن معارف لم تكن متاحة من قبل. المعجم التاريخي ليس ديوانا للعربية فحسب، يضمّ بين دفّتيه مفرداتها وأساليبها: مبانيها ومعانيها، ما استخدم منها وما أميت أو هجر، وما حدث لها من تغيّر عبر الأزمان والأصقاع، بل سيكون كذلك ديوانا لتاريخ العرب والمسلمين، ديوانا للأحداث

الكبرى من فتوح وحروب وهجرات وكوارث، ديوانا لحياتهم الاجتماعية بنظمها وبمظاهرها المادية والروحية، ديوانا لأفكارهم ومعارفهم وخبراتهم، ديوانا لعلاقاتهم بالشعوب الأخرى ولتأثيرهم فيها وتأثّرهم بها. المعجم هو الوجه الآخر للحياة الإنسانية بكلّ تجلّياتها المادية والروحية."[28] سيحمل هذا المعجم إذا تاريخ وحياة ومسيرة وتطوّر اللغة العربية عبر العصور: ازدهارها وضعفها وانحطاطها ونهضتها، ويبقى ضرورة لابدّ منها، خاصّة في الوقت الراهن، أين تحتاج اللغة إلى معجم يرصد دلالات ألفاظها ويتتبّع تطوّراتها وتجدّدها، معجم يبحث في حياة الكلمات ونظامها ونسقها ومشتقاتها وتطوّر معانيها في كلّ مرحلة من مراحل وجودها، استمرارها أو اختفاؤها وما أصابها من تحوّلات، كما يهدف العمل في المعجم التاريخي إلى جمع ما تفرّق من ألفاظ اللغة العربية وحفظها، وذلك بتوفير مصدر علمي يُفهم من خلاله التراث العربي الإسلامي فهما صحيحا، عن طريق تحديد تاريخ مراحل تطوّر اللفظ في الاستعمال بينة ودلالة وغير ذلك من المعلومات التي تسلّط الضوء على فترات إهماله واندثاره أو بقائه. لذلك يحتاج عمله إلى كثير من الجهد والمال، كما أنّ إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية يتطلّب مؤسّسة موحدّة على مستوى الوطن العربي، بتخصّصات متعدّدة وكفاءات عالية وأموال كبيرة تمتدّ على عقود من الزمن، لأنّ هذا العمل ليس بالأمر اليسير، ولا يمكن أن يتمّ في سنة واحدة، وإنّما في عدّة سنوات. كما يحتاج أيضا إلى العمل الجدّي والمتواصل دون اكتراث بما يدور خارج هذا الحقل العلمي الكبير.

الهوامش:

1- عبد الغني أبو العزم، المعجم اللغوي التاريخي منهجه ومصادره، ط1، الرباط: 2006 مؤسسة الغني للنشر ص11.

2- علي القاسمي، علم المصطلح، ط1. لبنان: 2003، مكتبة لبنان ناشرون، ص705.

3- شاهد البوشيخي، مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج78 ج03، ص685.

4- محمد رشاد الحمزاوي، كلمة افتتاح وقائع ندوة المعجم التاريخي قضايا ووسائل إنجازه، مجلة المعجمية، تونس: 1990، ع5، 6، ص06.

5- Kurt Balduiger, Introduction aux dictionnaires les plus importants pour l'histoire du français, ed Klink siek, Paris: 1974, p23.
6- www.voiceofarabic.net

7- عبد الغني أبو العزم، المعجم اللغوي التاريخي منهجه ومصادره، ص11.

8- أوجست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، القاهرة: 1967، مجمع اللغة العربية، ص07.

9 - www.voiceofarabic.net

10- خالد اليعبودي، مبادئ الصناعة المعجمية وأولوياتها، مجلة اللسان العربي، الرباط: 2004 ع67، ص263.

11 -Moche Bar-Acher, Fonctions et Activités de l'Académie de la langue hébraïque dans l'oriontation et de le développement de la langue hébraïque META translator's journal, vol43, n1, 1998, p10-18 .

12- خالد اليعبودي، مبادئ الصناعة المعجمية وأولوياتها، ص264.

13- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

14 - vb.altareekh.com

15- إحسان النص، مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، مسيرة وتاريخ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق دمشق، مج 72، ج01، ص15-17.

16- خالد اليعبودي، مبادئ الصناعة المعجمية وأولوياتها، ص266.

17- يوهان فك، تاريخ حركة الاستشراق، تعر: عمر لطفي العالم، ط1. دمشق: 1996، دار قتيبة ص340،341.

18- عبد العزيز بن حميد الحميد، أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي، ط1. السعودية: 2012، مكتبة الملك فهد الوطنية، ج1، ص190.

19 -www.onmagharebia.com

20- يوهان فك، تاريخ حركة الاستشراق، تع: عمر لطفي العالم، ج1، ص191-194.

21- المرجع نفسه، ج2، ص465.

22- أوجست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، ص07.

23- حلمي خليل، المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي، مجلة المعجمية، وقائع ندوة المعجم العربي التاريخي، قضاياه ووسائل إنجازه، ص05، 06.

24 - vb.altareekh.com

25- إحسان النص، مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، ص07،08.

26 - www.dohainstitute.org

27- المرجع نفسه.

28- محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج، ط1. القاهرة: 2008، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ص42.